

# حروف حرة

العدد 17، جويلية 2022

مجلة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

الدستور الجديد  
وحدود المقاربة القانونية

هل يمكن إنشاء "ناتو شرق أوسطية"؟

الزمان السائل (قصيدة)

تاريخ تونس منظورا إليه من أسفل:  
قراءة من الهامش

جسد تحت المجهر:  
الاستعمالات التجارية للجسد الأنثوي

# تقريباً جمعة تونس الفتاة عدد العدد

ص. 3

هل يمكن إنشاء "ناتو شرق أوسطي"؟

أنيس عكروتي

ص. 4-5

الدستور الجديد وحدود المقاربة القانونية

حمزة عمر

ص. 6-7

جسد تحت المجهر: الاستعمالات التجارية للجسد الأنثوي

عبير الكوكي

ص. 8-11

تاريخ تونس منظورا إليه من أسفل: قراءة من الهامش

فهمي رمضاني

ص. 13

الزمان السائل

حمزة عمر



التصميم

حمزة عمر

رئيس التحرير

حمزة عمر

حروف حرة

مصدر صورة الغلاف

Traveller\_40/flickr

فريق التحرير

أنيس عكروتي  
فهمي رمضانيمجلة شهرية تصدر عن  
جمعية تونس الفتاة

تأسست في مارس 2021

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

## هل يمكن إنشاء "ناتو شرق أوسطي"؟



بقلم: أنيس عكروتي

عضو مؤسس لجمعية تونس الفتاة

مهندس بيولوجي

باحث في شؤون الجماعات الجهادية

anis@tounesaf.org

أساساً عدم ثقة الإدارة الأمريكية في الأنظمة العربية وخاصة الخليجية منها، وحتى إدارة بايدن لم تكن استثناءً فقد شنّ بايدن هجوماً لاذعاً على النظام السعودي خلال حملته الانتخابية واعداءه بفرض عقوبات قوية على الرياض.

اليوم تتحرك الولايات المتحدة الأمريكية تحت ضغط اسرائيلي لكن الأمور لن تتجاوز تعزيز العلاقات الاقتصادية والعسكرية بين دول المنطقة واسرائيل تواصل مع "اتفاقيات إبراهيم للسلام" في محاولة للضغط على إيران دون المرور إلى مواجهة مباشرة معها، خاصة وأنّ عدة دول تمضي قدماً في سياسة الصفر مشاكل، من ذلك الزيارة التاريخية المترقبة لأمير قطر إلى القاهرة وإذابة الجليد بين أنقرة والرياض مؤخراً.

أثبت التاريخ فشل كل مشاريع التحالف الذي جمعت بين دول المنطقة برعاية غربية وأمريكية بداية من حلف بغداد في الخمسينات، لذلك فالاستراتيجية الجديدة تتجه نحو تعزيز العلاقات بين دول المنطقة أو على الأقل الحفاظ على علاقات عادية بين الجيران، علماً أنّ هذه العبارة جاءت مؤخراً وللمرة الأولى على لسان الرئيس السوري بشار الأسد في حديثه على طبيعة العلاقات المستقبلية مع اسرائيل.

تبعاً لكل ذلك، يبدو أنّ هذا المشروع سيجهض في المهد ولن نشهد ميلاد ناتو شرق أوسطي على المدى القريب على الأقل، بل قد نشهد مواجهة اسرائيلية إيرانية مباشرة، فتل أبيب تسعى جاهدة لإفشال الاتفاق النووي ولا تمنع في توجيه ضربة في العمق الإيراني.



المصدر: cnn.com

فيما تبدو الأردن متحمسة لتشكيل هذا الحلف، حيث أنّ عبد الله الثاني كان قد عبّر سابقاً عن خشيته من ملء الميليشيات الإيرانية للفراغ الذي ستتركه القوات الروسية في سوريا وكان تحدث أيضاً عن استهداف بلاده بطائرات مسيرة إيرانية دون تقديم أي تفاصيل إضافية، تسعى دول أخرى لعقد تفاهات مع إيران كبلد جوار ولاعب مهمّ في المنطقة، إذ تأتي، على سبيل المثال، زيارة رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى الرياض في إطار الوساطة بين المملكة وإيران.

وفي ظلّ التردّد المصري السعودي، تبدو حظوظ تشكيل هذا الحلف "العربي الاسرائيلي" منعدمة تماماً. ومن الوارد جداً أن يتم التركيز على ابرام اتفاقيات للتعاون الاقتصادي العسكري بين دول المنطقة دون التوصل لتوافق حول الملف الإيراني.

تجدر الإشارة أنّ الحديث عن تشكيل حلف مماثل لا يعدّ بالأمر الحديث فقد سبق وأن طُرحت الفكرة بجديّة خلال ولاية باراك أوباما في إطار التصدي للحركات الجهادية (القاعدة أساساً) والتمدّد الإيراني في المنطقة.

ذهبت حينها الإدارة الأمريكية نحو خيار التحاور مع حركات الإسلام السياسي (الاخوان المسلمين أساساً) وفتح قنوات اتصال مع النظام الإيراني قصد التوصل إلى شكل من أشكال الاحتواء وتحييد الخطر، ومردّد ذلك

خلال لقاء صحفي جمعه بقناة سي ان بي سي الأمريكية، دافع العاهل الأردني عبد الله الثاني عن فكرة تشكيل قوّة سياسية عسكرية تضمّ دول المنطقة (بما فيها اسرائيل)، ككيان شبيه بحلف شمال الاطلسي "الناتو"، "ناتو شرق أوسطي".

أثار هذا التصريح جدلاً واسعاً حول تركيبة هذا الحلف ومهامه وخاصة الجهة المستهدفة خصوصاً مع تكثيف تل أبيب لهجماتها على الأهداف الإيرانية وقرب حسم الملف النووي الإيراني، إذ أكدّ الملك الأردني أنّه "يمكن بناء الحلف مع البلدان ذات التفكير المتشابه".

يأتي هذا اللقاء عشية زيارة جو بايدن للمملكة العربية السعودية رأساً والمنطقة عموماً وبعد أيام قليلة من عقد اجتماع بين مسؤولين عسكريين أمريكيين مع نظرائهم في اسرائيل والأردن ومصر ودول خليجية بمدينة شرم الشيخ، اجتماع تمحور أساساً حول تنامي القدرات الصاروخية والجوية (الطائرات المسيّرة أساساً) الإيرانية وسبل التصدي لها حسب "وول ستريت جورنال".

فدول المنطقة ليست راضية تماماً على بنود الاتفاق النووي الإيراني وخاصة المتعلقة برفع العقوبات عن الحرس الثوري، غير أنّها ليست متوافقة على خيارات المواجهة.

أثبت التاريخ فشل كل

مشاريع التحالف الذي

جمعت بين دول

المنطقة برعاية غربية

وأمركية

## الدستور الجديد وحدود المقاربة القانونية

المصادقة على الدستور، تشكلت أغلبية برلمانية من أحزاب من المفروض أنها متناقضة إيديولوجيا توافقت، ضمناً على عدم تفعيل جزء من الدستور وعلى الخصوص عدم تنصيب المحكمة الدستورية. أما إثر انتخابات 2019، فقد بلغ تعقيد التركيبة السياسية للبرلمان وأثره على تشكيل الحكومة حدًا أجزم أنه لم يخطر قطّ بخلد الآباء المؤسسين، أضف إلى ذلك ممارسات تكاد تكون سريالية كرفض رئيس الجمهورية أداء الوزراء الجدد اليمين أمامه، وهي حالة فريدة من نوعها ولا حلّ لها في غياب محكمة دستورية.

هناك أمثلة شهيرة في تواريخ الأمم تسلط الضوء على العلاقة الجدلية بين القانون وممارسته. عندما وصل النازيون إلى الحكم في ألمانيا، لم يقع إلغاء العمل بدستور فايمار لسنة 1919 ذي الطابع التحرري وظلّ، على الورق، نافذاً إلى حدود 1945 رغم أنه كان يُخرق في كلّ يوم ألف مرّة. في المقابل، ليس لبريطانيا دستور مكتوب، ومع ذلك، حدّدت الممارسة على مدى أكثر من قرنين بشكل دقيق مختلف أوجه العلاقة بين السلط على نحو يجعل من المستحيل على أيّ قوّة سياسية في البلاد أن تفكّر في مخالفته.

تعدّد الأمثلة على وضعيات تحدّى فيها الممارسة النصوص القانونية. ينطبق ذلك حتى على ما نعتبه نجاحات تشريعية باهرة، وأبرزها مجلة الأحوال الشخصية. لا شكّ أنّ إلغاء تعدّد الزوجات في 1956 كان قراراً ثورياً، لكن هل منع استمرار

إذا لم يكن على قراءة عميقة للمجتمع تستشرف ما سيحدث أثناء الممارسة، وهذا ما نقع فيه دائماً. من دون فهم دقيق للجوانب الاجتماعية والنفسية التي تحرك أفراد المجتمع التونسي، ومن دون فهم للاتجاهات السياسية والفلسفية والدينية التي تؤثر فيه، ومن دون فهم للعوامل الاقتصادية والطبقية المساهمة في تحديد واقعه، من دون ذلك كلّه نحن نكتفي بإسقاط رؤى جاهزة ومقولة عليه، والمثير للسخرية أننا ندهش بعد ذلك حين يفشل.

لنأخذ مثلاً دستور 2014 الذي ننوي إعدامه الآن. إن قريّ كوثيقة معزلة عن واقعه، لا أظنّ أنه كان بهذه الدرجة من السوء. وإن لم نذهب إلى قول البعض أنه "أحسن دستور في العالم"، فإنه يضمن عدداً كبيراً من الحقوق والحريات ويقيم ضوابط صارمة للحدّ منها ويكرّس توازناً بين السلطتين التشريعية والتنفيذية (وحتى إن كان التوازن مختلاً بعض الشيء كان بالإمكان تعديله ببساطة دون التضحية بكامل النص) ويضع هيئات مستقلة من المفروض نظرياً أنّها تمارس عملها دون إمكان للتدخل فيه، كما يمنح استقلالية وظيفية للسلطة القضائية ولا يعتبرها مجرد وظيفة. كلّ ذلك جيّد، أين كان الخلل يكمن إذن؟ هو قطعاً في أنّ النصّ لم يقرأ حساب الممارسة السياسية في التحايل عليه. في أول انتخابات تشريعية إثر

نستعدّ في نهاية هذا الشهر للتصويت على دستور جديد للبلاد. تحلّ هذه الوثيقة محلّ دستور فتّي لم يتجاوز عمره ثماني سنوات لكن قال لنا أولو الأمر الجدد أنه سبب كلّ المصائب والبلايا، وأنّ معوّضه سيكون فتحاً جديداً لم يسبق له مثيل، وسيحلّ كلّ مشاكل البلاد. ألم نسمع السيّد العميد الصادق بلعيد يصرّح للإعلام أنّ مشروع الدستور- ولأوّل مرّة في تاريخ الدساتير- سيخصّص باباً للأول للرؤية الاقتصادية والاجتماعية؟ وكأنّ مشاكل البلاد على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي ستحلّ بمجرد دستورها!

رغم محاولات الإيهام بالتجديد، ليست هذه الرؤية في الحقيقة إلا مواصلة للتمسّي الذي سرنا عليه منذ العام الأول للثورة. في فيفري 2013، نظّمت جمعية تونس الفتاة لقاء بعنوان "هل سرق رجال القانون الثورة؟" نوقشت خلاله فكرة مفادها أنّ التركيز الشديد آنذاك على عمل المجلس الوطني التأسيسي لوضع دستور للبلاد يسحب البساط من زوايا نظر أخرى شديدة الأهمية لتغيير وضع البلاد، ويختصر النقاش في مسائل قانونية تقنية تُقدّم للنقاش العام وكأنّها مصيريّة وحاسمة.

هل أنّ تغيير المنظومة القانونية مهمّ لتغيير وضع البلاد؟ نعم، لا شكّ في ذلك، لكنّه لا يكفي بمفرده، لا سيّما



بقلم: حمزة عمر

رئيس جمعية تونس الفتاة

hamza@tounesaf.org

أين كان الخلل يكمن  
إذن؟ هو قطعاً في أنّ  
النصّ لم يقرأ حساب  
الممارسة السياسية في  
التحايل عليه.



” إن وضع النصوص

القانونية بشكل

معزول عن واقعها

وعن الطرق التي

ستقع بها الممارسة

ليست أكثر من بناء

قصور في الهواء

“

الجديد (بغض النظر عن محتواه) الذي قد لا يكتب له عمر أطول من سابقه بما أنه كان نابعا عن رؤية أحادية جامدة لم يقع نقاشها إلا بطريقة شكلية ومبتورة للغاية، ولعلنا سنعود بعد مدة قصيرة لندرس مشروع دستور جديد. هذا النمط من الإسهال الدستوري والتشريعي لن يؤدي إلا لمزيد إثقال المنظومة القانونية دون نتائج تذكر. لا جدوى من تغيير منظومة قانونية إذا كان المعنويون بتطبيقها (وهم هنا عموم المواطنين) غير مقتنعين بها. أما عن تغيير الممارسة، فسبيله في غير النصوص.

خاضعا لنظام الإعلام لا الترخيص. لكن إذا كانت الإدارة تتعطل بعدم موافقتها على أحد أهداف الجمعية أو حتى على تسميتها لرفض نشر إعلان تأسيسها بالرائد الرسمي، فأبي فرق بين النظامين؟

في كتابه "يوميات نائب في الأرياف"، يسخر توفيق الحكيم من تلك النظرة التي تريد أن تطبق قانون نابوليون على أرياف أرياف مصر- الغارقة في البؤس والأمية في ثلاثينات القرن الماضي. لا يبعد ذلك كثيرا عن نظرة دولة لها نصوص شديدة التقدم فيما يخص الإدارة الرقمية، في حين أن لها موظفين لا يجيدون استخدام الحاسوب وفي حين أنه لا يكاد مواطن يقصد أي إدارة في خدمة ما لا "يفاجأ" أن "الريزو طايح".

إن وضع النصوص القانونية بشكل معزول عن واقعها وعن الطرق التي ستقع بها الممارسة ليست أكثر من بناء قصور في الهواء. لا شك أن ذلك ينطبق كذلك على مشروع الدستور

التعدّد بأشكال أخرى؟ يُثبت لنا المسلسل الرمضاني "براءة" أن تواطؤ الزوجة الأولى يكفي لجعل التعدّد أمرا واقعا، وحتى تبعاته، في شأن ميراث الأبناء مثلا، يمكن التحايل عليها بالوصية وغيرها. ذلك أنه ما دام جزء كبير من المجتمع غير مقتنع بالقانون الوضعي، ومؤمنا بأولوية الشرع عليه، فسيمكن له ابتكار ما شاء من الحلول لينفذ ما يراه منسجما مع قناعاته.

حتى الأمور التي تعتبر السلطة إقرارها انفتاحا لا مثيل له ودفعنا لقاطرة التنمية تضحى فاقدة للمعنى إذا لم تصحبها ممارسة في نفس الاتجاه. ينطبق ذلك مثلا على الإجراءات المتعلقة بإلغاء التراخيص وتعويضها بكراسات شروط. إذا كانت لأعوان المراقبة سلطة كبيرة لكي يتعلّلوا بأي شيء يعتبرونه مخالفة لكراسات الشروط لفرض هيمنتهم (إدارة وكذلك كأفراد متنفذين) على أصحاب المشاريع، يضحى وجود الإجراء كعدمه. ينطبق نفس الأمر كذلك على إحداث الجمعيات. من المفروض أن المرسوم 88 لسنة 2011 جعل منه

## جسد تحت المجهر:

# الاستعمالات التجارية للجسد الأنثوي

جديد للجسد، يكون بموجبه هذا الأخير أكثر جاذبية وجمالاً: جمال دائم وجاذبية لامتناهية سعيًا من أجل خلق صورة مثالية عن أجسادنا تكون صالحة للترويج وللبيع، هذا إذا ما قرنا دخول السوق التجارية التي يتحول فيها الجسد إلى شيء أو إلى مادة ثمينة ونادرة نعرضها في الواجهات، وبما أن الصورة هي تمثيل رمزي تتنوع وظيفتها بحسب تنوع الأهداف المنشودة منها سياسية كانت أو تجارية أو ثقافية أو دينية [3].

فالجسد يمكن أن يكون صورة مرئية أو رمزية، تحمل تمثيلات وتقدم في سوق العرض لذلك فإن الصورة الإشهارية الإعلانية تسعى بما أوتيت من آليات وتقنيات، إلى شد المتفرج وإثارته وتوجيه إحساسه وتكييف سلوكه الاجتماعي وهذا لارتباطها بأغراض اقتصادية تجارية واضحة. وهنا على وجه الخصوص يبرز الجسد الأنثوي كأداة تستعمل "للإثارة" في استخدامات تجارية من شأنها تكريس الصورة النمطية للمرأة فوسائل الإعلام الجماهيري غالباً ما تدعم الموروثات الثقافية السائدة من ذلك التركيز على جمال الجسد الأنثوي واستغلاله للترويج لمنتج ما وبالتالي فإن الدلالة التي يكتسبها الجسد في هذا الإطار هي دلالة تجارية تتيح له الاندماج داخل منظومة العرض والطلب.

هذه النزعة التجارية التي أضحت عليها العالم والتي تسعى إلى سلعة كل شيء، لا تستثني الجسد كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه في استمالة الآخر أو التأثير عليه، وربما هذا ما يبرر حضور الجسد الأنثوي في الفضاءات الإعلانية كمادة إخبارية، فالاستثمار في الجمال والتأثير على استئثار الغرائز في مجتمع مازال يحاول أن يلتحق بالحدثة يمكن أن يبيع أكثر أو أن يحقق ربحاً سريعاً، أكثر مما قد يحققها حضور جسد الرجل فالخصائص المعنوية والبدنية التي يتمتع بها كل من الرجل والمرأة ليست مرتبطة بأوصاف جسدية بقدر ما هي مرتبطة بالدلالات الاجتماعية التي تمنحها من خلال المعايير التي تقتضيها السلوكيات [4]، ومادام الجسد هو ذلك المكان المفضل لإبراز حسن المنظر والمظهر من خلال البنية الجسدية والشباب الدائم أو المحافظ عليه (التجميل، الحمية) فإنه أصبح موضوع اهتمام دائم والهدف هو إرضاء الطابع الاجتماعي المبني على الإغراء أو نظرة الآخر. [5]

وإذن يمكن أن تصبح المظاهر الجسدية نوعاً من رأس المال عند الفاعلين الاجتماعيين: "رأس مال المظهر" الذي يتوجب تدبيره إلى الأحسن من أجل مردودية حسنة. [6]

وهذا ما يسعى الإشهار إلى الاستثمار فيه من خلال إبراز الأنوثة الأبدية، فهو يغذي التمثيلات التقليدية الموروثة عن الجسد الأنثوي في المجتمع الذكوري، التي تحصر المرأة في أدوارها التقليدية (التي لا تتجاوز كونها مصدر المتعة ...) ويقصدها

"إن الجسد هو محور وجودنا

وصناعتنا وادائنا في العالم وهو ما

نلصق عليه تصوراتنا والعادات"

جوديث باتلر



بقلم: عبير الكوي

باحثة في العلوم الاجتماعية

ثانية ماجستير اختصاص "تنمية محلية

وعمل جمعياتي"

koukiabir643@gmail.com

”

ساهمت العولمة في

بروز متخيل جديد

للجسد، يكون

بموجبه هذا الأخير

أكثر جاذبية وجمالاً

“

تعرضنا لوحات إعلانية عديدة تباغتتنا وتربص بنا نشاهدها على التلفاز وفي الواجهات وفي وسائل التواصل الاجتماعي بالتالي أصبح من الضروري البحث في مكونات هذه المادة الشهيرة التي تجعل من الجسد محورا لها، وقراءة أبعادها واستراتيجياتها، ومحاولة تفكيك رمزياتها وعناصرها.

إن الجسد الذي صنعه السياق الاجتماعي والثقافي الذي يخوض فيه الفاعل الإنسان، ما هو إلا ذلك الجانب الدلالي الذي من خلاله نتواصل مع العالم الخارجي بالتفاعل مع الآخر والإدراك الحسي والفكري والتعبير عن المشاعر، والذي يتجلى في الحركات والإيماءات وفي الصورة الخارجية عموماً [1]، فالجسد هو ما نصدر به صورنا للعالم الخارجي وهو ما نلصق عليه أفكارنا ومعتقداتنا وهو أيضاً ما يمكننا من فهم تمثيلاتنا للأشياء حسب إميل دوركايم فإن الجسد هو الذي يحدد الاختلاف، فللتمييز بين شخص وآخر ينبغي وجود عامل تفرّد والجسد هو الذي يلعب هذا الدور [2].

لقد ساهمت العولمة في بروز متخيل



”  
أبرز غوفمان أن  
التصوير الإشهاري يمثل  
طقسنة للمثاليات  
الاجتماعية، حيث أن  
كل ما من شأنه أن  
يمنع التمثيل المثالي  
يتم حذفه

الاجتماعية للجسد وهو ما يقود  
الفاعلين الاجتماعيين إلى الانساق نحو  
نزعة إثبات أجسادهم بشتى الطرق أو  
إلى نكرانها.

غوفمان أن التصوير الإشهاري يمثل  
طقسنة للمثاليات الاجتماعية،  
حيث أن كل ما من شأنه أن يمنع  
التمظهر المثالي يتم حذفه [8].

إننا إزاء ما يسميه زيجمونت  
باومان "الحدثة السائلة"، هذه  
الحدثة التي يتحول فيها الفرد إلى  
جزء من نظام تجاري، حيث كل  
شيء سائل وقابل للسيولة ومن هذا  
المنطلق عوضت بلاغة الجسد بلاغة  
الروح تحت تأثير ثقافة الاستهلاك  
فهنا يفرض أمر "المتعة" على الفاعل  
ممارسات استهلاكية تهدف إلى  
تعميم نزعة اللذة [9]. إن الهيمنة  
التجارية التي يفرضها النظام  
الرأسمالي العالمي تلغي الخصوصية،  
خصوصية كل فرد - كل جسد -  
هذا النظام يسعى جاهدا إلى  
تنميط الأذواق وتعليبها و إلى خلق  
معايير لا يجب الحياد عنها وقوالب  
جاهزة على كل الأفراد الانصهار  
داخلها فهي تفرض سيطرتها  
المعنوية والمادية على الاستعمالات

من دائرة الفعل والإنتاج والخلق  
والإبداع، إن الهدف الترويجي للمنتوج  
يتطلب استراتيجية محكمة في مجال  
الاستقطاب، وهذا ما قد يدفع أصحاب  
الإعلانات إلى توظيف صورة المرأة بشكل  
يناسب نظرة الرجل إليها خصوصا أننا في  
مجتمع مازال سائرا نحو التقدم أو لم  
تكتمل حدائته بعد بالتالي تختصر صورة  
المرأة في جسدها "كسلعة ثقافية" أو  
"كوسيلة لصنع اللذة" خصوصا أن  
"الثقافة الجماهيرية" السائدة تروج إلى  
تنميط الأذواق من أجل استقطاب  
الجماهير وهنا يصبح التعريف الأكثر  
دلالة للجسد هو حسب ما عرفه بورديو  
"تشيئ لذوق الطبقة دون أدنى شك [7]".  
وفي سياق الاختلاف الجنسي الذي يتم  
توظيفه في الإشهار، عرّ غوفمان عما  
أسماها "الطقسنة" المفردة للقوالب  
النمطية المرتبطة بالأنوثة في علاقتها مع  
الرجل حيث بيّن أن أغلب الوصلات  
الإشهارية تضع في المشهد رجلا ونساء  
مستحضرة علانية الانقسام والتراتبية  
التقليدية للجنسين حيث تظهر المرأة  
غالبا في وضعية تابعة أو مؤازرة وقد أبرز

#### الهوامش

- [1] دافيد لوبرتون، **سوسولوجيا الجسد**،  
روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص  
17
- [2] نفس المصدر، ص32
- [3] انظر: عقيلة نصر، **صورة المرأة في  
الإشهار التجاري بالفضائية تونس** 7، رسالة  
ماجستير، كلية العلوم الإنسانية  
والاجتماعية بتونس، 2007-2008.
- [4] دافيد لوبرتون، مرجع سابق، ص133
- [5] نفس المصدر، ص50
- [6] نفسه، ص149
- [7] نفسه، ص156
- [8] نفسه، ص133
- [9] نفسه، ص160

## تاريخ تونس منظورا إليه من أسفل:

### قراءة من الهامش\*

يعتبر نص الكاتب الألماني برتولد بريخت المعنون "تساؤلات عامل يقرأ" محاولة لكتابة التاريخ من منظور جديد:

"من بنى طيبة ذات البوابات السبع؟

في الكتب سجد أسماء الملوك

فهل حمل الملوك كل تلك الاحجار؟

و بابل التي دمرت مرات عدة من شيدها كل هذه المرات؟

سور الصين؟ روما العظيمة مليئة بأقواس النصر فمن أقامها؟

الاسكندر الشاب غزا الهند فهل كان مجرده؟

وقيصر انتصر على بلاد الغال فهل كان لوحده؟

و من طبخ وليمة المنتصرين؟

أسئلة كثيرة وتقارير كثيرة؟"

بدأت تظهر كلمة "الهامش" و"الهامشين" بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد أحداث "ماي 1968" في ظل الحركات الاحتجاجية التي اكتسحت أوروبا الغربية والتي زعزت القيم الحضارية المسيحية اليهودية وأسس المجتمعات الصناعية الرأسمالية. وقد هاجمت هذه الاحتجاجات السلوك والأخلاق الجنسية التقليدية ومؤسسة العائلة وأخلاقيات العمل وإيديولوجيا التقدم وقانون الربح والتلوث الصناعي لذلك فإنها تعد نقدا لقيم الحداثة وثورة تطالب بإعادة بناء النظام الاجتماعي. يتم تعريف الهامش بالنسبة إلى المجتمع المهيم بصورة سلبية: "ليس له مقر دائم"، "يوجد في كل مكان"، "ليس له اعتراف" لا يصلح للدنيا.

#### مسألة التحقيب

التحقيب هو تأطير حوادث الماضي وتصنيفها وفق حقب تاريخية ذات سمات مشتركة وينبغي أن يكون هناك بين كل حقبة وأخرى قطعة معرفية (مثل النهضة الأوروبية وتغير العقلية) أو وقائعية (مثل سقوط روما).

ارتبط التحقيب بحرص المؤرخ على رصد

هذا الإطار المدرسة البريطانية (من خلال مجلة "حاضر وماض") التي قامت كردة فعل على المدرسة الوضعية التي أقصت "عموم الناس" وركزت على الحدث السياسي والعسكري وأعطت أهمية كبيرة للحدث. من أهم رواد هذا الاتجاه في المدرسة البريطانية نذكر تومسون وإيريك جون هوبسباوم صاحب الكتابات الشهيرة المتعلقة بالتحويلات الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا الغربية في العصر الحديث (عصر الثورة، عصر- الامبراطورية، عصر مثير رحلة عمر في القرن العشرين، أزمنة متصدعة).

ظهر هذا الاتجاه أي التاريخ من أسفل بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأ التخلص من "عقدة البطل" وإعادة الاعتبار لدور المهمشين واستعادة مكانتهم كفاعلين صامتين في التاريخ فأصبحت المجتمعات برمتها هي التي تصنع التاريخ وليس القائد. وقد كشف القرن العشرين الذي جاء متخنا بالجراح عن تراجع فكرة المركز وافتقاد الثقة في مبادئ التنوير وتهاوي فكرة التقدم التي آمن بها الغرب منذ العصور الحديثة. وقد تزامن ذلك مع الإحساس بتزايد إيقاع التاريخ مما جعل المؤرخ يهتم بالواقع الاجتماعي ويسأل التاريخ ويقترّب من المجتمع ونبضه. ويعتبر ألبرت سبول أول من استعمل التاريخ من أسفل عند دراسته للثورة الفرنسية التي كان عوام الناس ذواتا فاعلة فيها.

قدم هوبسباوم مفاهيم مرادفة "للتاريخ من أسفل" مثل التاريخ الشعبي والتاريخ القاعدي وتاريخ الأصول وتاريخ كل الناس والتاريخ الراديكالي.

يعتمد مؤرخو "التاريخ من أسفل" على وثائق ومصادر متنوعة لا تقتصر فقط على وثائق الأرشيف والتاريخ الرسمي. في هذا الإطار،

ليس الهدف من دراسة التاريخ هو تقديم الدروس والعبر، فهي مسألة قد تجاوزها الزمن ربما لأنه لا وجود لدروس بحكم أن السياقات التاريخية تختلف من عصر- لآخر ولنفترض جدلا بأن للتاريخ عبر ومواعظ ودروس فلماذا نكرر نفس الأخطاء وكأننا نعيشها للوهلة الأولى؟

يؤكد هيغل على هذه الفكرة، إذ يعتقد أن كل شعب عليه أن يقرر مصيره على ضوء حالته الخاصة وسياقه العام لذلك فإن أهم شيء نتعلمه من علم التاريخ هو الوعي التاريخي، الوعي بالعصر وبما يحركه من أحداث والأهم من ذلك كله هو الوعي بالمنعطفات التاريخية الكبرى والتحويلات الحضارية.

يقول نيتشه "التاريخ يهّم الأحياء لأسباب ثلاثة. أولا لأنهم ناشطون وطامحون ثانيا حريصون على المحافظة على الأشياء وحب التقديس والسبب الثالث لأنهم يتألمون ولا بد لهم من الخلاص".

لذلك فمن الضروري اليوم تجديد الكتابة التاريخية والإتيان بأفكار جديدة حتى ولو ثبت لاحقا أنها خاطئة، فالمهم هو تحريك السواكن واثارة النقاش وكسر- الأطواق والابتعاد عن المسالك المعهودة.

#### ماهو التاريخ من أسفل؟

يقول جان كلود شमित (وهو من رواد التاريخ من أسفل وكتب مع جاك لوغوف التاريخ الجديد) "كان التاريخ قبل كل شيء عملا تيريريا للتطورات التي شهدتها العقيدة أو العقل والتطورات الذي عرفه النفوذ الملكي أو البرجوازي، لذلك ظل التاريخ يكتب لفترة طويلة من الزمن انطلاقا من المركز".

أسهمت مدرسة الحوليات في بروز التاريخ من أسفل والخروج من السياجات التي تفرضها الكتابة التاريخية التقليدية، وقد برزت في



بقلم: فهمي رمزي

أستاذ مبرّز في التاريخ

عضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

بدأت تظهر كلمة

"الهامش"

و"الهامشين" بعد

الحرب العالمية الثانية

وخاصة بعد أحداث

"ماي 1968" في ظل

الحركات الاحتجاجية

التي اكتسحت أوروبا

الغربية

\*نص المحاضرة التي قدّمها الكاتب بالسليمانية يوم 18 جوان 2022 في إطار سلسلة المحاضرات "التاريخ من رحاب الأكاديميات إلى الفضاء العام" التي تنظمها جمعية تونس الفتاة



جون كلود شميت/EHBSS

يشكل تاريخنا صورة

مضخمة لرموز تم

انتقائها لخدمة

مشاريع الدولة

السياسية

والايدولوجية

في التاريخ والحضارة العالمية.

ثانيا، يمكننا تبين أن الرواية الرسمية تعتبر أن تاريخ تونس يبدأ مع المدينة والحضارة المدينية فتاريخنا متمركز حول المدينة والحواضر الكبرى: قرطاج عاصمة للحضارة البونية، القيروان عاصمة الحضارة العربية الاسلامية، المهديّة عاصمة الدولة الفاطمية تونس عاصمة الدولة الحفصية. في حين تم تهميش دور المجالات الطرفية والأرياف والقرى والمدن الأخرى.

ثالثا، يشكل تاريخنا صورة مضخمة لرموز تم انتقائها لخدمة مشاريع الدولة السياسية والايدولوجية، فحنبلعل هو بطل وطني منتصر (على الرغم من هزيمته في الحرب البونية الثانية) في حين أن الكاهنة (تم تغييب الاسم وهو دهايا وتعويضه بالكاهنة بكل ما يحمله ذلك من خلفيات وتمثلات) منهزمة في المخيال على الرغم من انتصارها في عدة معارك.

رابعا، المرجعيات الحضارية التي تم الاستناد إليها لصياغة سرديات الانتماء: المرجعية الشرقية القديمة إذ تم الإقرار بأهمية حضارات الشرق القديم ومنها الحضارة الفينيقية، ثم المرجعية المتوسطية فتمّ التأكيد على أهمية البعد المتوسطي وتأثيره في تاريخ تونس وحضارتها، ثم أخيرا المرجعية العربية الاسلامية التي تبقى من أهم المرجعيات الحضارية والتي تمّ اعتبارها أهم بعد مؤثر في التكوين التاريخي للشخصية التونسية. بيد أننا لاحظنا تجاهل العديد من الغريبات الحضارية الأخرى التي ما انفكت تمثل الآخر الكامن فينا مثل

الفينيقين، 647 قدوم العرب، 1574 قدوم الاتراك و1881 قدوم الفرنسيين. الا يعكس هذا استبطان الضعف والخوف من الآخر؟

لماذا لا نخترع تحقيقا آخر خاص بنا؟ أقترح مثلا تحقيقا حسب الشخصيات التي كان لها أثر واضح في تاريخ تونس مثلا:عصر حنبعل، عصر يوغرطة، عصر ابن خلدون، عصر خير الدين ؟ أو عصر المسيحية، عصر الاسلام الكلاسيكي، عصر الطاعون الجارف، عصر تكون الدولة، عصر التحديث... فالتحقيب المعمول به حاليا يساهم أولا في طمس وتغييب الذات التاريخية ودورها في الفعل في التاريخ مما يجعل تاريخنا ممزقا ومقطعا إلى شرائح لا تربط بينها قطائع ابستيمولوجية مثل قطائع الغرب الأروبي. ويبقى التحقيب في النهاية ملفا مفتوحا ومتجددا.

**متى يبدأ تاريخ تونس؟ ومع من ؟**

السردية الكبرى التي ما انفكت ندرسها في تاريخنا هو 814 ق.م ومجيء عليسة بجلد الثور الشهير وتأسيس قرطاج فوق هضبة بيرصة. يقصي هذا التصور الحضارات التي سبقت الحضور الفينيقى وهي حضارات لا نعلم عنها الكثير إلى حد هذه اللحظة. كما تفتقر جامعاتنا لأقسام تدرس الحضارات التي سبقت الحضارة القرطاجية فلا نجد مختصين في هذا المجال. لذلك يبدو أن الرواية الرسمية تؤكد على أن الفينيقيون هم من أدخلوا البلاد

القوانين التي تحكم الظواهر التاريخية وتفسر التحولات الحضارية وتدرك سيرورتها. وتتأسس الحقبة على التحولات العظمى التي تغير حياة الناس اليومية وسلوكاتهم الثقافية ومواقفهم من الظواهر.

كيف جرى هذا التحقيب وكيف ننظر إلى تاريخنا؟ أولا يتوجب الإشارة إلى أننا نقسم تاريخنا إلى أربع فترات الفترة الاولى تمتد من تأسيس قرطاج 814 ق.م إلى القدوم العربي الاسلامي وهو التاريخ القديم. الفترة الثانية تبدأ مع القدوم العربي الاسلامي إلى حملة سنان باشا وانتصاب الاتراك بتونس 1547 وهي التاريخ الوسيط. أما الفترة الحديثة فهي تمتد من 1574 إلى 1881 تاريخ احتلال تونس وانتصاب الحماية الفرنسية. وأخيرا الحقبة المعاصرة التي تنطلق مع تاريخ الاستعمار الفرنسي وتتواصل إلى اليوم.

هذا التحقيب هو خاضع للتحقيب الأوروبي ومتأثر بالمركزية الأوروبية الأمر الذي يجعلنا نقر بأنه لا يتمشى وخصوصية تاريخنا، إذ أنه لا يمكن الحديث عن تاريخ وسيط لدينا، فماذا يتوسط تحديدا؟ في أوروبا بتوسط فترتي ازدهار: الفترة القديمة (الإرث الإغريقي الروماني) والعصور الحديثة (نهضة أوروبا وتزعمها للعالم). أقترح أن يتحول التاريخ الوسيط عندنا إلى تاريخ الاسلام الكلاسيكي أو العهد العربي الإسلامي لتجاوز الإشكاليات المتعلقة بالتحقيب الغربي.

أما ثانيا فإن التحقيب الذي نتبعه يخضع إلى سردية الغازي الخارجي الذي يجلب معه حضارة جديدة للبلاد: 814 قدوم

الغرب باعتباره مصدرا لقيم الحدادثة ومصدر الاضطهاد الاستعماري في نفس الوقت)، لا تعكس حضور إرادة واضحة لترسيخ قيم الانفتاح والتسامح، فالآخر إما عدو حرب (الآخر الروماني) أو صليبي (الآخر المسيحي) أو مقاوم للوجود العربي الاسلامي (البربري) أو المستعمر (الفرنسي) في حين لاحظنا استبطانًا واضحًا للأفضلية وهذا ربما ما نجده لدى تودوروف حينما أقرّ بأنه "لطالما اعتقد الناس أنهم أفضل من جيرانهم... لذلك نرسم صورة الآخر من خلال إبراز نقاط ضعفنا عليه... إنه مُشابه أو أدنى منّا... ما حُرّم منه قبل كل شيء هو أن يكون مُختلفًا"

### قضايا متنوعة في تاريخنا القديم

تتمثل أهم الإشكاليات التي طرحها "عبد الله العروي" في مؤلفه "مجمل تاريخ المغرب" في ضرورة إعادة قراءة تاريخ المغرب بعيدا عن نظريات المستشرقين والقراءات الايديولوجية المتسرعة حيث رح في هذا الإطار أسئلة مهمة من قبيل من أين أتى البربر؟ لغتهم؟ حضارتهم؟ لماذا أطلقت عليهم عدة تسميات البربر، اللوبيون والنوميديون؟ ما هو أصلهم؟ شرقي أم غربي؟ ولماذا يصر البعض على الأصل الشرقي للبربر؟ أليس في ذلك تبريرا لانغراس الإسلام القادم من الشرق كذلك؟

يبدو أننا لا نعلم كثيرا عن الحضارة البربرية وخصوصياتها ومميزاتها وعن علاقة قرطاج بالعنصر البربري المحلي إذ دائما ما تتم الإشارة إلى إنجازات قرطاج والفينيقيين وتجاهل دور البربر الحضاري. يؤكد العروي على أن البربر كانوا يستعملون منذ زمان بعيد وقبيل وصول الفينيقيون آلات حربية وعربات أي أنهم مروا مبكرا بثورة نيولوتية.

نمر الآن إلى الحقبة القرطاجية التي لا نعلم عنها شيئا سوى ما أخبرنا به الرومان أو الاغريق. كيف أخضعت قرطاج الشعوب المحلية؟ وكيف كانت علاقتها بهم؟ وما هي أهم الثورات التي قامت بها العناصر المحلية ضد قرطاج؟ هل يمكن الحديث عن البونقة زمن قرطاج مثلما نتحدث عن الرومنة زمن الحضور الروماني؟

### فترة الحضور العربي الاسلامي: قطيعة أم استمرارية؟

لا نكاد نعرف شيئا عن وقائع الفتح العربي إلا من خلال نصوص عربية متأخرة وفي بعض الأحيان متضاربة مثلما

نعتبر الفترة القديمة فترة سابقة للحضور العربي الإسلامي فقط في حين أننا نهمل جوانب عديدة من تاريخنا القديم كالحضور المسيحي والأثر الأركيولوجي الروماني لذلك فإننا نتعامل مع تاريخنا القديم وكأنه فترة غريبة عنا أو هو تاريخ غيريات ليست لها علاقة بالأنما الحضاري. لذلك وجب إعادة الاعتبار للحضارات القديمة من الحضارة القبطية إلى الحضارة القرطاجية مروراً بالرومان والوندال والبيزنطيين وتتمين هذا التنوع والتعدد من الوثنية إلى المسيحية إلى الاسلام.

وقد استثمرت الدولة الوطنية هذه التوجهات في التاريخ القديم مثلا بورقية هو يوغرطة الذي انتصر- بن علي يمثل عودة حنبعل... الخ.

### الآخر في تاريخنا التونسي

غيّبت الرواية الرسمية دور الأقليات اليهودية والمسيحية في تاريخنا التونسي، الأمر الذي يمنع التأسيس لهوية حضارية مُركّبة تتعدد فيها الرواقد وتتعدد فيها التأثيرات ويسهم في تشكيل تصورات ضيقة وأحادية الجانب نحو الذات التاريخية لا تُحصّن الفرد ضد التوجهات العنصرية والإقصائية.

إضافة إلى ذلك يمكننا تجاوز سرديات الامتزاج والانصهار لأن ذلك يؤسس لسرديات قائمة على التجانس والتألف. نجد ذلك من خلال بيان مدى استيعاب البلاد التونسية للعناصر الوافدة (مجيء الفينيقيين وانصهارهم مع العنصر المحلي اللوبي لتكوين العنصر البوني، مجيء الرومان وانصهار العنصر المحلي في إطار الرومنة، مجيء العرب وانصهارهم في إطار الحضارة العربية الاسلامية)، وعلى الرغم من وجاهة هذه الفكرة، إلا أننا يمكننا تنسيبها خلال العصور المختلفة. ولا ريب أن تقديم مثل هذه السرديات على أنها حقائق ثابتة في التاريخ، تجعلنا نسقط في مقولات غير علمية، مثل التأكيد اليوم على تجانس المجتمع التونسي في حين أنه تشقّه عديد الاختلافات.

تكثيفا للقول ، يمكننا الإشارة إلى أن التاريخ الرسمي قد شكل صوراً مُطوية حول الآخر وفي بعض الأحيان مُعقدة ومتناقضة (مثلا صورة

البعد الآسيوي والبعد الافريقي.

خامسا، يمكننا الإشارة إلى وجود سردية ازدهار البلاد التونسية عبر كل العصور وفكرة إشعاعها في كل الحقب (ازدهار قرطاج في العهد البوني، ازدهار ولاية أفريقيا في العهد الروماني، ازدهار القيروان في العهد الأغلبي، ازدهار تونس في العهد الحفصي)، في حين تمّ تجاهل فترات الضعف والانحطاط التي تمثل كذلك جزءا لا يتجزأ من تاريخ البلاد ومرحلة من السيرورة الحضارية والتاريخية مثل العهد البيزنطي والعهد الوندالي والفترة الأخيرة من العهد الروماني وبعض الفترات من العهد الحفصي، لذلك وجب تنسيب فكرة الازدهار والإشعاع حتى لا نساهم في كتابة تاريخ غير موضوعي لا يخدم سوى ذاكرة موجهة وانتقائية هدفها تدريس التاريخ لا كما وقع في الماضي وإنما كحقائق جاهزة لخدمة مشاريع مُعينة. فيصبح بذلك التاريخ تشكيلا لخطاب مُعين حول الماضي وليس إعادة تركيب الماضي في شكل عملية عقلانية ونقدية.

من الإشكاليات الكبرى التي نجدها عند دراسة تاريخنا التونسي- هي إشكالية التاريخ والذاكرة. هل كُتب تاريخ تونس تحت ضغط الذاكرة؟ وقبل كل شيء لا بد من التمييز المنهجي بين الذاكرة والتاريخ: فللذاكرة وظيفة شعورية عاطفية وهي انتقائية تعيد بناء الماضي وفق متطلبات الحاضر في حين أنّ التاريخ عمل علمي ومنهجي وهو عملية بناء معقدة، فكرية نقدية ثم تأليفية.

يبدو أنّ ما تقدمه الروايات الرسمية، لا يعدو أن يكون تمثلات تاريخية تخدم في معظمها ذاكرة موجهة وانتقائية وظيفتها إعادة تركيب الماضي من وجهة نظر حاجياتها لا وفق الموضوعية التاريخية. فالتكيز مثلا على فكرة ازدهار البلاد التونسية وإشعاعها عبر العصور لا يمكن أن يصب إلا في إطار خدمة ذاكرة جماعية تنتقي ما تراه صالحا.

### حالة انفصام مع تاريخنا القديم

يبدو أننا لم نخترع بعد العصور القديمة الخاصة بنا مثلما اخترعها الغرب l'antiquité إذ أننا لا نزال

## غيّبت الرواية

## الرسمية دور

## الأقليات اليهودية

## والمسيحية في

## تاريخنا التونسي،

## الأمر الذي يمنع

## التأسيس لهوية

## حضارية مُركّبة

أشار إلى ذلك العروي (روايات ابن عبد الحكم). هل أن الحضور العربي قطيعة أم تواصل؟ ماهي أخبار الفترة الفاصلة بين الحضور البيزنطي وقدم العرب؟

ماذا عن حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح 27 هـ وما يلفها من غموض؟ هل جاء العرب لنشر الإسلام أم لغايات أخرى؟ لكن لماذا قبل العرب مغادرة البلاد بعد لم يبق أمامهم أية معارضة؟ نجد العديد من السرديات التي يتوجب مراجعتها: كيف اندمج البربر في العروبة والإسلام ولم يندمجوا في اللاتينية والمسيحية من قبل؟ يبدو أن صعود الخوارج بنزعتهم الاستقلالية أسهم في خلق المناخ المناسب للحركات الاستقلالية في بلاد المغرب عامة مما فسح المجال لتكون أول نواة لدولة شبه مستقلة وهي الدولة الأغلبية. إذ بين بعض الدارسين بأن افريقية خلال العصر الوسيط لديها نزعة استقلالية تتجلى أهم معالمها خلال العهد الفاطمي. وقد اعتمد الفاطميون على الفئات المهمشة مثل البربر وأهل الذمة ونجحوا في إعادة الاعتبار إلى هذه الفئات وعاملوا أهل الذمة معاملة حسنة لكننا نلاحظ تغيب التاريخ الفاطمي والشعبية من التاريخ التونسي.

يعتبر العهد العربي الإسلامي من العهود الحافلة بالثورات والانتفاضات التي صورتها المصادر على أنهم شرذمة من السفلة والأوباش والعصاة والمارقين. ابن أبي زرع مثلا يخصص صفحتين لوصف يوسف بن تاشفين من أعلى رأسه لأخصم قدميه مع ذكر الجزئيات الدقيقة من ملامح وجهه ولم يتعامل بنفس السخاء مع بقية شرائح المجتمع إذ لم يتحدث عن المتشردين والمنبوذين والمتسولين، لذلك فإن كتابات العصر الوسيط هي كتابات التأريخ للسلطان والمؤرخ كان حبيس رؤية البلاط نظرا لوجود الرقابة.

### الفترة المعاصرة

على الرغم من تعدد الانتفاضات خلال الفترة المعاصرة إلا أن الفئات المهمشة لم تكن قادرة على فرض نفسها وصوتها بوسائلها الخاصة وكتابة نتج سردياتها وتمثالتها عن الدولة والمجتمع. ويبدو أن أغلب الانتفاضات التي قادتها الفئات الشعبية كان مآلها الفشل نذكر هنا انتفاضة 1864، خطر الفراشي 1906، المقاومة الشعبية المسلحة اثر انتصاب الحماية الفرنسية، انتفاضة الودارنة (1915-1916)، حركة الصعاليك الشرفاء (1916-1919)، انتفاضة المرابطين، فلاقة زرمدين (1945-1948)، ثورة الخبز جانفي 1984.

### غياب تاريخ المرأة وحضور الاستبطان الذكوري

تكشف الرواية الرسمية عن حضور الاستبطان الذكوري من خلال كتابة تاريخ الرجل وتغيب تاريخ المرأة، إذ تم ربط حضور المرأة بأدوار سطحية ومطية لا تعكس دورها الفعلي في التاريخ، فقد ارتبط وجودها إما بأسطورة التأسيس مثل عليسة أو الألوهة المؤنثة (ابزيس، تانيت) أو المرأة المقاومة لعمليات الانتشار الإسلامي مثل الكاهنة أو زوجة للنبي مثل عائشة (لم يتم التطرق إلى دورها السياسي خلال الفتنة الكبرى مثلا).

من هنا نفهم أنه تم النظر إلى المرأة كعنصر صامت في التاريخ وليس كعنصر فاعل، الأمر الذي يعكس غياب رغبة حقيقية لكتابة تاريخ المرأة الفاعلة في التاريخ وهو بذلك تواصل للاستبطان الذكوري والجندي الذي يُفصي المرأة ويربط دورها فقط بالوظيفة البيولوجية كما يذكر أحد الدارسين.

### هل يمكن كتابة تاريخ العبيد في تونس؟

للعبيد دور مهم منذ الحضارة القرطاجية، هذا أمر لا يختلف فيه اثنان إلا أننا قد نقف عاجزين أمام أية محاولة لكتابة تاريخ العبيد نظرا لشح المعلومات التي يمكن انتقاؤها من المصادر. يتحدث البعض عن نمط انتاج عبودي خلال العهد الأغلب نظرا لدورهم في تطوير المشهد الفلاحي لذلك كان المغرب الإسلامي أرض رقى بامتياز حتى أن موسى بن نصير أبهر خلفائه بالمشرق بإمدادهم بعدد كبير من العبيد. لكن على الرغم من ذلك غيبت المصادر أدوارهم في الثورات والانتفاضات خلال العصور القديمة والعهود العربية الإسلامية.

### هل أن ثورة 2010-2011 حقبة جديدة في تاريخ تونس؟

هل أعلنت ثورة 2010-2011 عن بداية عهد جديد؟ هل يمكن اعتبارها من أبرز متغيرات الزمن الراهن بعد حادثتي تفكك الاتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين؟

الفاعلين الأساسيين في هذا الحدث هم المهمشون من أبناء الطبقات الشعبية وهم شباب كانوا تواقين إلى التغيير. هل يمكن اعتبار الثورة

التونسية انتقالا من عصر الحرب الباردة إلى عصر الخوف البارد أو الهلع البارد؟

تزامنت الثورة التونسية مع تصاعد خطاب النهايات: نهاية الأيديولوجيات، نهاية المثقف نهاية التاريخ، وبداية حقبة جديدة لم يعد فيها للصراع الطبقي دور مهم وإنما أساسها هو التواصل والتشابك اللذان يجعلان كل شخص يساهم في تغيير الآخر.

الثورة التونسية هي تحول وبداية حقبة جديدة لأنها أبرزت النشطاء الشباب في الساحة التونسية وفي الفضاء العام وأسهمت في خلخلة نظام توزيع الأدوار بين الأعمار المختلفة ونزع امتياز القيادة الذي كان حكرا على الكهول والطاعنين في السن والاطاحة بذوي الأسنان والأشراف وكسر العلاقات العمودية هذا مع تصاعد دور المرأة في عملية التغيير إذ لم يعد الاحتجاج مقتصر على العنصر الذكوري.

### خاتمة

لقد غلبت على الرواية الرسمية للتاريخ التونسي التوجهات الأحادية الضيقة والإقصائية التي تمنع من خلق الهوية المركبة والمتعددة ولا تُؤسس للاختلاف وإنما للتجانس والتماهي والنمطية، فالمعارف المجزأة والسطحية والموجهة لا يمكن أن تشكل مناعة ضد العديد من الأخطار المحدقة ولا يمكن أن تعترف بالإنسان في تنوعه ولعل مراجعة السرديات الكبرى بمثابة التشخيص الأولي لفهم تناقضات مجتمعنا المعاصر وما يعيشه من تمزقات وكبوات وأزمات تعكس غياب تمثيل حقيقي وفعلي للمواطنة وبالتالي فإن مثل هذه المراجعات كفيلا بأن تجعلنا نفهم ذواتنا أكثر وذلك من أجل الاندماج في المجتمع والاعتراف بقيم العيش المشترك.

### تم النظر إلى المرأة

### كعنصر صامت في

### التاريخ وليس كعنصر

### فاعل

“

### أهم المراجع

- التيمومي، الهادي، كيف صار التونسيون تونسين، دار محمد علي الحامي للنشر صفاقس، 2015.
- عيسى، لطفي، أخبار التونسيين مراجعات في سرديات الانتماء والأصول، دار مسكلياني، تونس، 2019.
- شميت، جان كلود، " تاريخ الهامشيين " ضمن لوغوف، جاك (إشراف) مؤلف جماعي "التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم د. محمد الطاهر المنصوري، مراجعة د. عبد الحميد هنية، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007، ص ص 437-473.

- Goody, Jack, *le Vol de l'histoire, comment l'Europe a imposé le récit de son passé sur le reste du monde*, Paris, éditions Gallimard, 2010.



صورتان من محاضرة فهمي رمضاني "تاريخ تونس منظورا إليه من أسفل: قراءة من الهامش" التي قدّمها بدار الثقافة الإسلامية يوم 18 جوان 2022 في إطار سلسلة المحاضرات "التاريخ من رحاب الأكاديميات إلى الفضاء العام" التي تنظمها جمعية تونس الفتاة

## الزمان السائل



بقلم: حمزة عمر

رئيس جمعية تونس الفتاة

hamza@tounesaf.org

ألقى عصاه وأجلّ الترحالا

وخطاه تنثر في السماء رمالا

شيئا أريده أن يكون شمالا

أجد التعدّد في المكان زوالا

ما دمت لم أر في السحاب هلالا

ما بعد يوم كي أصير محالا

ألفيت في كلّ الدقائق حالا

ليست لديّ حقيقة وخيالا

إن كسّرت من غيبها الأغلالا

يمحو بنبض شبابه أطلالا

والآن، أفتح للحياة مجالا

حطّ الزمان على يديّ وسالا

كم كان يسعى لا يجيد تريثا

فأهيم أنشد من دلائل سيره

حتّى إذا نظرت إلى معالم سفرتي

لا فرق في سيرتي وطول توقفي

في الأرض دائرة تضيق عليّ يو

لما انسحبت إلى حدود تنقّسي

ما كان في الدنيا جميعا حاجة

الكلّ في عيني ورهن بصيرتي

ليكون يومي كلّه ملكي أنا

أنا واحد، إذ أرتعي بين الهنّا



# جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 29797625

البريد الالكتروني: [contact@tounesaf.org](mailto:contact@tounesaf.org)

الموقع: [www.tounesaf.org](http://www.tounesaf.org)

فايسبوك: [facebook.com/tounesalfatet](https://facebook.com/tounesalfatet)

تويتر: [twitter.com/tounesalfatet](https://twitter.com/tounesalfatet)

انستغرام: [@tounesaf](https://www.instagram.com/tounesaf)